أيتها القرى لقد اتعبتني

عيسى حسن الياسري

١
قرايْ
خذلتني قدمايْ
٢
قلتُ . . لفراشةِ حقلكِ
هاتي كفكِ
ولندخل محرابَ القلب
٣
كانت تهربُ مني
يهربُ وجهكِ
وطمأنينةُ قلبي . .
وظلالُ النسيانْ
٤
اني أتسولُ كسرةَ نسيانٍ
لا شيءَ . . .
سوى كسرةِ نسيانٍ
جرّةِ ماءٍ . .
تطفئُ موقد ذاكرتي
٥
نائيةٌ أنتِ
كنت بيتي
سفري اليومي
بكائي في احضانِ المرأةِ
كراسة درسي
رائحة جسدي الطينيةَ
في يومٍ ما . .
قلتِ . . ارحلْ
لكنْ . .
احذرْ أن تستبدل رائحتي
أن تشكو هربي . .
من صخب الشارعِ . . .
ودخانِ المقهى
وفعلتْ . .
جثث السنواتِ تخاصر بابي
آخر سنبلة تودي قلبي تسقطُ . .
مرتجفةً بين يديَّ . .
ولا أبكي
آخر نهر يروي صحرائي
يدخل منتصف الليل مغطىً بالثلجِ . .
ورائحةِ البارات . . .
ويرقد ميْتاً فوق . .
ذراعي . .
الموتُ مخيفٌ
كنت . . اذ يتجولُ بجوار الأكواخِ . .
تضمّين عضونَ طفولتنا . .
تحت دخان نجودك
تلقين علينا ثوبك . .
وتعاويذ السحرْ
٦
اني أشحذ ساعةَ نومٍ هادئةٍ
يوماً . .
لمرافقة امرأةٍ ترغبُ . .
أن تخلو بي
وتقرب شفتيها من شفتيَّ
فلا تنهرني أحجاركِ
أمطار مسائكِ
آه ـ قرايْ
ماذا أبقيتِ لي غير جليد القلبِ
ووحشةِ منفايْ
٧
قلتِ . .
في الليلْ
أوقد قمري
وثريات نجومي
ونهاراً . .
أغلقْ بابك دون جميع الخلقِ
عدا مخلوقاتي .
وفعلتْ . .
هذا الإرث الهائل يبهظني
أيَّ عذاب انزلتِ بي
لو انفضّ عني
ـ وكما يفعله الناس هنا ـ
اسمكِ
لهجة أمواجكِ
وهي تثرثر طولَ الليلِ
ينامُ النهرُ
أنام أنا
وينام الشاطىءُ
وتظلُ تثرثرُ
أنت اللعنةُ
جوعي
مذبحتي اليوميةُ
اني أتسول عتقكِ لي
ما دام يثرثر موجكِ بين ثيابي
لن أُتركَ . .
أن أحيا . . بسلامْ
٨
قرايْ
معذرةً
الوحشة قاسيةٌ
وأنا وحدي
ليس معيباً أن أضعفَ
التجوال بعيداً عن صخبِ الشارعِ
وضجيج الأسواقِ
يورّثني الجوعَ
وأنتِ . .
تمضين بعيداً بي . .
عن هذا
رائحتنا لا يألفها الناس هنا . .
شكل ملابسنا . .
لهجتنا
والتطواف . .
بعيداً عن صخب الشارع
يجعلنا مكشوفين لبرد الليْل .

بغداد